(٧١) أحمد بن مسروق[١]

ذكر الشيخ أحمد بن مسروق رحمه الله رحمة واسعة:

كان روّح الله روحه من كبار المشايخ في خراسان، وكان يُصاحبُ القطبَ، سُئل عن القطب، فما صرَّحَ باسمه، ولكن لوَّحَ بأنه الجُنيد.

وهو لقي بأربعين من أهل التمكين، واستفادَ منهم.

وكان في العلم الظاهر والباطن كاملاً، وفي المُجاهدة والتقوى راسخًا.

وصحب المُحاسبيَّ، والسريَّ رحمهما الله.

ومات في سنة تسعٍ وتسعين ومئتين رحمه الله.

نقل أنّه جاءَ إليه شيخٌ ذو هيئةٍ حسنة، ويُحدِّثُ بأحاديثَ عجيبةٍ، ويقول: ما سنحَ لكم من الخواطرِ اذكروه لي، لأُفسِّرَه لكم. فقال أحمد بن مسروق: ظننتُ أنّه يهوديٌّ، وخبَرتُ هذا للجريري أيضًا، فما وافقني فيه، فقلتُ لذلك الشيخ: إنَّك تُريد أن نذكرَ لك كلَّ خاطرٍ يخطرُ ببالنا، والحالُ أنّه يخطرُ ببالي أنَّكَ رجلٌ يهوديٌّ. فأطرقَ ساعةً، ثم رفعَ رأسَه، وصدّقني، وآمن، ثم قال: جرَّبْتُ أهلَ الملل والمذاهب، وعلمتُ أنَّهم على الباطل إلاّ المسلمين، فإن الحقَّ ما هم عليه.

---

(١) طبقات الصوفية ٢٣٧، حلية الأولياء ١٠/ ٢١٣، تاريخ بغداد ٥/ ١٠٠، الرسالة القشيرية ٨٦، مناقب الأبرار ٤٩٧، صفة الصفوة ٤/ ١٢٨، المنتظم ٦/ ٩٨، المختار من مناقب الأخيار ١/ ٣٤٩، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٩٤، ميزان الاعتدال ١/ ١٥٠، العبر ٢/ ١١٠، مرآة الجنان ٢/ ٢٣١، طبقات الأولياء ٨٩، لسان الميزان ١/ ٢٩٢، النجوم الزاهرة ٣/ ١٧٧، نفحات الأنس ١٣٦، طبقات الشعراني ١/ ٩٣، الكواكب الدرية ١/ ٥٢٨، شذرات الذهب ٢/ ٢٢٧، هدية العارفين ١/ ٥٥، ٦٥.

ومن كلام أحمد أنه قال: من سُرَّ بغير الحقِّ، فمسرَّتُهُ عين الحزن، ومن لم يستأنسْ بالحقِّ، فأُنسه بغيرِهِ وحشةٌ، ومن كان قلبُهُ مُوافقًا مع الله عصمه اللهُ تعالى في حركات جوارحه.

وقال: من اتَّقى هانَ عليه الإعراضُ عن الدنيا.

وقال: التقيُّ من لا ينظرُ بمؤق العين[١] أيضًا إلى لذّاتِ الدنيا، ولا يتفكّرُ فيها بالقلب[٢].

وقال: احترامُ المؤمن احترامٌ لله تعالى، والعبدُ باحترامِ المؤمن يبلغُ درجةَ التقوى.

وقال: النظرُ في الباطل يزيلُ المعرفةَ عن القلب.

وقال: من أدَّبَهُ الله تعالى، لن يَغلبَهُ أحدٌ أبدًا.

وقال: اعلمْ على الدنيا بعلامة الوحشة، لئلا يَستأنسَ بها المُطيعون لله؛ بل يستأنسون بالله.

وقال: ينبغي أن يكونَ الخوفُ غالبًا على الرجاء، فإنَّ اللهَ خلقَ الجنَّةَ والنار، ولا يُمكنُ الوصولُ إلى الجنة إلاّ بعد العبورِ عن النار.

وقال: أخوفُ ما يُخافُ على العارف إنّما هو القربُ إلى الله تعالى.

أقول: معناه أن التنزُّلَ يكون على قدرِ الترقّي، والشيءُ يتحوَّلُ من وصفٍ إلى نقيضِ ذلك الوصف، ولا شكَّ أنَّ القربَ من الله تعالى هو من أعلى المراتب، فإذا وقعَ منه تنزُّلٌ ينتهي الشخصُ بذلك التنزُّلِ إلى أسفل المراتب وأدناها، وذلك كمن وقعَ من حائطٍ علوُّه مئةُ ذراع، وآخر وقعَ من حائطٍ علوُّه عِشْر ذراعٍ مثلاً[٣]، ولا خفاءَ في أن ضررَ الأول على أضعافِ الثاني، ويُشير إلى

---

(١) مؤق العين: طرفها مما يلي الأنف، وهو مجرى الدمع منها. وقيل هو المأق، والمؤخر المؤق. معجم متن اللغة (مأق).

(٢) في (ب): ولا يتعكّر فيها بالقلب.

(٣) في (ب): علّوه عِشْره مثلاً.

هذا المعنى قوله ﷺ: «المُخلصون على خطرٍ عظيم[١]» فثبتَ أنَّ القربَ من الله أَخوفُ كلِّ شيءٍ، لأن التنزُّلَ منه ـ والعياذُ بالله ـ يكونُ إلى أدنى ما يُتصوّر. والله أعلم.

وقال: شجرةُ المعرفة إنّما يسقيها ماءُ الفكر، وشجرةُ الغفلة يسقيها ماءُ الجهل، وشجرةُ التوبة يسقيها ماءُ الندامة، وشجرةُ المحبة يسقها ماءُ الموافقة.

وقال: من طمعَ في المعرفة، ولم يترسَّخْ في درجةِ الإنابة، فهو بَعْدُ على بساطِ الجهل، ومن طلبه قبلَ أن يصحَّ له مقامُ التوبة، فهو بَعْدُ في ميدان الغفلة.

وقال: الزاهدُ من لا يتسلّطُ عليه سوى الله تعالى.

فنسألُ اللهَ تعالى أن يُمطرَ عليه من سحائبِ رأفته أمطارَ اللُّطف والكرم، ويرزقَنا معرفتَهُ، ولا يقطعَ عنّا موهبته، ولا يحرمنا رحمته، وأن يُصلّي على أُسوة الخلقِ[٢] محمد وآله وصحبه وعترته الطاهرين أجمعين.

* * *

---

(١) جاء في كشف الخفا ٢/ ٤٣٣ (٢٧٩٦) قوله:

«الناس كلُّهم مَوْتَى إلاّ العالِمون، والعالِمون كلُّهم هَلْكَىَ إلاّ العاملون، والعاملون كلُّهُم غَرْقَى إلاّ المخلصون، والمخلصون على خَطَرٍ عظيم». وبعضهم يَرويه: «هَلْكَىَ في الكل»، وبعضهم يَرويه: «مَوْتَى في الكل».

قال الصغاني: وهذا حديثٌ مفترى ملحون، والصوابُ في الإعراب: (العالمين، والعاملين، والمخلصين) انتهى. وأقول فيه: إن السيوطي نقل في النكت عن أبي حيان أنَّ الإبدال في الاستثناء الموجَب لغةٌ لبعض العرب، وخرّجَ عليها قوله تعالى: ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٢٤٩] انتهى، وعليه فالعالمون وما بعده بدلٌ مّما قبله.

(٢) في (أ): على أسعد الخلق.